

شرح أصول الكافي

[368] الدنيا يوم القيامة تقول (1) يالاشئ أني لم أرضك لهم في الدنيا كيف أَرْضاك لهم اليوم ". * الأصل 10 - علي بن إبراهيم، عن علي بن محمد القاساني، عن ذكره، عن عبد الله بن القاسم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إذا أراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا وفقهه في الدين وبصره عيوبها ومن أوتيهن فقد أوتي خير الدنيا والآخرة، وقال: لم يطلب أحد الحق بباب أفضل من الزهد في الدنيا وهو ضد لما طلب أعداء الحق، قلت: جعلت فداك ماذا؟ قال: من الرغبة فيها، وقال: إلا من صبار كريم، فإنما هي أيام قلائل، ألا إنه حرام عليكم أن تجدوا طعم الإيمان حتى تزهّدوا في الدنيا، قال: وسمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إذا تخلّى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حب الله وكان عند أهل الدنيا كأنه قد خولط وإنما خالط القوم حلاوة حب الله، فلم يشتغلوا بغيره. قال: وسمعت يقول: إن القلب إذا صفا ضاقت به الأرض حتى يسمو. * الشرح قوله (لم يطلب أحد الحق بباب أفضل من الزهد في الدنيا للحق أبواب لا يمكن الوصول إليه إلا بالدخول فيها منها الطاعات وترك المنهيات على أنواعها ومنها الأخلاق الفاضلة ومنها ترك الأخلاق الباطلة والزهد في الدنيا أعظم هذه الأبواب لأنه مفتاح لجميعها ثم أشار إلى ضده على وجه يفيد أن الزهد يوجب محبة الحق وأنه عبارة عن تطهير القلب من الرغبة في الدنيا وميله إليها لا عن ترك الدنيا مع تعلق القلب بها فقال (وهو ضد لما طلب أعداء الحق) وقول السائل (ماذا)

1 - قوله " إن الدنيا يوم القيامة تقول " لا يخفى أن هذا الخبر لا يوافق ما في أذهان بعض الناس من أن الفرق بين الدنيا والآخرة بتقدم الأولى زمانا وتأخر الأخرى كذلك والآخرة عندهم هي الدنيا بعينها لكن في زمان متأخر نظير تأخر أمة إبراهيم عن أمة نوح (عليه السلام) وكما لا يمكن أن يطلب رجل من عهد إبراهيم (عليه السلام) أن يجعله زمان نوح (عليه السلام) كذلك لا يمكن أن يطلب رجل من عهد مضي الدنيا وإنقضائها أن يجعله من أهل الدنيا والحق أن الفرق بين العالمين ليس بتأخر والتقدم الزمانيين فقط بل بينهما فرق في أمور كثيرة كما يظهر لمن تتبع الآيات الكريمة والروايات الكثيرة وليس هنا موضع ذكرها ولذلك لم يجب الله تعالى السائلين عن وقت الساعة وزمانها ولم يقررهم على جهلهم والمعنى أن الدنيا طلبت من الله تعالى أن يجعل الصالحين من أهل الدنيا لا الدنيا المتقدمة زمانا بل الدنيا الجامعة لهذه الصفات المختصة بها من التغير والكون والفساد وأمثالها ولو في زمان متأخر بالنسبة إلى الدنيا السابقة لا بالنسبة إلى الآخرة إذ ليس بعد الآخرة شئ وقد سبق في الصفحة 318 من هذا الجزء قول الشارح

قد صرح بعض أصحابنا بأن عذاب المستحق له واقع بالفعل وإن جهنم لمحيطه به وإنه داخل فيها ولكن الحجاب مانع من رؤيتها لحكمة تقتضيه. إنتهى، وهذا يدل على عدم تأخر العذاب عن الدنيا تأخرا زمانيا. (ش) (*)
